



## بول وولفوفيتز كما أعرفه: ملاحظات نقدية

### شيلي ملّاط

حاولت التمسك باقتناعي المستقر منذ سنوات ان حل هذا الصراع يكون بدولة فيدرالية واحدة يتساوى فيها الناس كلهم جماعة وفرداً، بغض النظر عن اتناهم الطائفي او العمري، بمن فيهم الناس الاكثر تضرراً عبر تاريخ المآسي التي حلت بهذه المنطقة - وهم فلسطينيو المهجرة، ولا أظنه ممكناً - في اقتناعي بالديموقراطية اساساً للحكم - اعتبار اسرائيل دولة ديموقراطية طالما انها لم تحترم هذا المطلب الاساسي. لكن هذه الرسالة تحتاج الى جهد أوسع بكثير مما يبذل اليوم في العالم العربي - والفلسطيني بالتحديد -، كما في الولايات المتحدة، لأن البرنامج الطائفي كان منذ 1974 وحتى اليوم لا يزال مرتبطاً بحل يقوم على دولتين مستقلتين. وحل الدولتين يجمع وولفوفيتز بالمطالب العربية - الفلسطينية الرسمية، ولا تعني بموقف أي منهم.

اما العراق، فالنص المرفق يحمل تساؤلات عديدة عن السبل المطروحة في سياسة الادارة الاميركية الحالية، لاسيما منها رفضي المستمر والقاطع استعمال مفهوم "الارهاب" في السياسة الدولية، كما استيائي من وسيلة حرب احتلال لتغيير النظام في العراق، اضافة الى استمرار غياب مراقبي حقوق الانسان وما نتج عنه من القتل المبرح بكل ما هبّ ودب على أيدي المتطرفين المذهبيين او القومييين، وكأن العراق ساحة الحقد المستيحية لكل غريزة وحشية في الانسان، بما فيها الفظاعات التي ارتكبت في سجن أبو غريب. ولا اقول أن الرجل براء من سياسة حكومته واخطائها، الا ان السلطة في الولايات المتحدة سلطة مركبة، والخلافات بين الفئات والمؤسسات والشخاص امر معهود، وهي مستفحلة في المسألة العراقية على نحو ظاهر للعيان، وتماشياً مع ضرورة تماشي الاطلاق في المواقف، لا بد من إدلائي بشهادتي الصية عن استعداد بول وولفوفيتز لاعتناق "مبادرة العراق الديموقراطي" - وهي المبادرة التي اشتركنا فيها مع عدد من اصحاب الفكر والريادة في العالم العربي بمطابقتها فرض الرحيل على صدام حسين وبداية ديموقراطية جديدة في بغداد - وتشجيعه فكرة نشر المراقبين الدوليين لحقوق الانسان آنذاك وفي غير مناسبة.

هذا والكل يعرف ما يعني في الولايات المتحدة التعاطي العلني لمسؤول على هذا المستوى في الادارة مع فرد لبناني اتصل اسمه بالدعوى ضد ارييل شارون في بروكسل - كما الاقتناع جهاراً بأن السياسة الاميركية لن تصلح في المنطقة من دون العمل الواضح والمستمر على الديموقراطية فيه، بغض النظر عن تسبيق موضوع على آخر، او الداخلة على الخارج، ومعنى الديموقراطية تغيير رأس السلطة فيها بتداولها سلمياً، والعمل على ارساء هذا المبدأ في مؤسسات الدولة الدستورية.

لقد كثر النقاش في العالم عن بول وولفوفيتز، وقد نعت الرجل عموماً بالعقل المدبر لسياسة الولايات المتحدة الخارجية، كما نعت، في الاوساط العربية والاميركية على السواء، بالمسؤولية عن سياسة الادارة "المتشددة" بمعناها المدان من تطرف وتعجرف وتعال. وبمناسبة نشر مقاله عن العراق في هذه الصفحة، قد يكون مفيداً توضيح نظرتي - على مامشيتها - الى اقتناعاته ومساره.

لا تربطني بالرجل علاقة صداقة، كما ادّعى البعض، لأن الصداقة تحتاج الى معرفة مطولة مبنية على اواصر تمتاز بأكثر من اشتراك في نظرة عامة او تشخيص مصالح معينة. لكنني لم أتصل يوماً من إبداء التلاقي معه في اعتبارنا مشكلة الشرق الاوسط مشكلة انساني غياب الديموقراطية، بما فيها بالنسبة الى النظام القائم في اسرائيل منذ اكثر من خمسين عاماً، كما بالنسبة الى الدول المعروفة بحكوماتها بالدعم التاريخي لها من جانب الولايات المتحدة بحجة الواقعية.

والمطالبة بالديموقراطية مسار طويل الباع، متعدد الطرف، وموقف وولفوفيتز كان سياقاً في الادارات الاميركية الجمهورية - وهو الذي أبدى اول ابتعاد ملحوظ عن الديكتاتوريات في اندونيسيا والفلبين ايام توليه بعض المسؤولية عن هذه الملفات في القمانيات.

ولا بد من التذكير بأن وولفوفيتز ليس سوى مساعد وزارة الدفاع، وعلينا ان نتعاطى معه ومع امثاله بما يلائم نظرة الى صنع التاريخ لا ترتبط بشخص واحد، ولا باقتناع منحوت في الحجر ليس قابل للتغيير.

في ما يخص اسرائيل والمشكلة الفلسطينية، فإن وولفوفيتز وحده من بين المسؤولين الكبار في الادارة الاميركية الحالية وقف موقفاً جسوراً في حديث شهير منذ سنتين امام مسيرة من مناصري اسرائيل في اميركا - فقول بالصرخ والتمهويل عندما قال في الحشد: "ينبغي أن نتذكروا أن الفلسطينيين أيضاً يتعبون"، وهو الذي أوضح في محاضرة السنة الماضية في جامعة جورج تاون ان المشكلة لا تقتصر على بعض الانتهاكات من الحكومة الاسرائيلية، بل إنها تشمل "المدار والمستوطنات" قبل كل شيء، وهو الذي فتح باب له للاسرائيليين والفلسطينيين الاكثر انسانية، امثال يوسبي بيلين وساري نسييه.

هذا لا يعني أنني أوافق وولفوفيتز على ما أظنه تصوره للحل في هذا الصراع، وهو قيام دولة اسرائيلية الى جانب الدولة الفلسطينية المحررة من المستوطنات، وقد